Journal of Scientific and Human Dimensions
مجلة الأبعاد العلمية والإنسانية
Volume 2, Issue 1, 2026, Pages: 43-54
Journal homepage: https://jshd.com.ly/index.php/jshd/en

The Impact of Tribal Ethnocentrism on National Identity in Libyan Society: A Sociological Analytical Study

Abdulhakim Almukhtar Mohammed *
Department of Sociology, Faculty of Education, Bani Waleed University, Libya

أثر التعصب القبلي على الهوية الوطنية في المجتمع الليبي: دراسة سوسيولوجية تحليلية

عبد الحكيم المختار محمد *
قسم علم الاجتماع، كلية التربية، جامعة بني وليد، ليبيا

*Corresponding author: ostahakem@gmail.com

Received: October 23, 2025	Accepted: December 19, 2025	Published: January 11, 2026

Copyright: © 2026 by the authors. This article is an open-access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

Abstract:
This study explores the impact of tribal ethnocentrism on national identity within the context of contemporary Libyan society. The research addresses the problem of rising tribal and regional loyalties at the expense of a unified national identity, particularly following the collapse of state institutions and the resulting political and security vacuum. By employing a sociological analytical approach, the study examines the root causes of tribal fanaticism including inherited traditions, cultural factors, and political exploitation and evaluates how these factors weaken social cohesion and state-building efforts. The findings indicate that while tribes historically served as social regulators, their transformation into political tools has deepened social fragmentation and threatened civil peace. The paper concludes with recommendations to strengthen national identity through educational curricula, equitable resource distribution, and the establishment of a robust legal framework that transcends sub-national allegiances.

Keywords: Tribal Ethnocentrism, National Identity, Libyan Society, Social Cohesion, Political Stability.

الملخص
تناقش هذه الدراسة أثر التعصب القبلي على الهوية الوطنية في سياق المجتمع الليبي المعاصر. تتناول الورقة البحثية إشكالية تصاعد الولاءات القبليّة والجهويّة على حساب الهوية الوطنية الجامعة، لا سيما بعد انهيار مؤسسات الدولة وما نتج عنه من فراغ سياسي وأمني .ومن خلال تبني منهج سوسيولوجي تحليلي، تبحث الدراسة في الأسباب الجذريّة للتعصب القبلي بما في ذلك الموروثات التقليدية، والعوامل الثقافية، والتوظيف السياسي، وتقيم كيفية إضعاف هذه العوامل للتماسك الاجتماعي وجهود بناء الدولة .وتشير النتائج

إلى أنه على الرغم من دور القبائل التاريخي كوسيلة ضبط اجتماعي، إلا أن تحولها إلى أدوات سياسية قد عمق الانقسام المجتمعي وهدد السلم الأهلي .تخلص الورقة إلى توصيات لتعزيز الهوية الوطنية عبر المناهج التعليمية، والتوزيع العادل للموارد، وإرساء إطار قانوني قوي يتجاوز الولاءات الفرعية.

الكلمات المفتاحية: التعصب القبلي، الهوية الوطنية، المجتمع الليبي، التماسك الاجتماعي، الاستقرار السياسي.

المقدمة

كان المجتمع العربي في الجاهلية مجتمعاً قبلياً في البوادي والحواضر، تحكمه القوانين والأعراف التي تضمن للقبيلة بقاءها، ولذلك شاعت بينهم العصبية، وكانت هذه العصبية على طبقات تناسب الجماعة التي ينتسب إليها أحدهم؛ فهو في قبيلته يتعصب لأسرته على سائر الأسر، وللبطن الذي هو منه على سائر البطون، ويتعصب للقبائل التي يجمعها مع قبيلته أبٌ واحد قريب على القبائل التي يجمعها مع قبيلته أبٌ بعيد. وإلى جانب رابطة الدم هذه، كانت هناك روابط أخرى كالولاء، والجوار، والتحالف، والمصاهرة. والتعصب هو من الآفات التي انتشرت في مجتمعاتنا الإسلامية وزادت حدتها في الفترة الأخيرة؛ فالتعصب يجلب معه العداوة والبغضاء، ويورث الاحتقان والانقسام بين الناس، ويتسبب في خلق النزاعات والخصومات التي تهدر بدورها الطاقات والإمكانات من دون طائل، ويهدد ويمزق نسيج العلاقات الاجتماعية داخل المجتمع. ولقد ثبت خلال السنوات الماضية أنه ليس هناك عدو حقيقي لليبيا يستمر في تدميرها وتخريبها غير التعصب والتطرف القبلي، فهو وحده من يتحكم بمصير هذا البلد ومستقبله، ملقياً بظلاله السلبية على بنية المجتمع الليبي وعلاقاته، سواء على المستوى الاتصالي بين أفراد المجتمع من الناحية الاجتماعية، أو من النواحي الثقافية والاقتصادية والتنموية، وما ينتج عنه من أثر يعود سلباً على قيم التماسك المجتمعي.

وليبيا اليوم تواجه أزمات خانقة سياسية واقتصادية واجتماعية، ولعل أخطرها أزمة الهوية الوطنية الجامعة التي يكون الولاء فيها للوطن أولاً، مما فسح المجال لبروز الولاءات الطائفية والقبلية والجهوية؛ وهذا بدوره أثر على استقرارها السياسي الذي تكمن أهميته في دوره الرئيس لإبراز حيوية النظام ومدى اهتمامه بالجوانب الثقافية والاقتصادية والاجتماعية داخل الدولة، إذ لا يقتصر دوره على الجانب السياسي والأمني فحسب، بل يمتد إلى بقية الجوانب الحياتية الأخرى المتمثلة في سيادة السلام والعدل والقانون والانتماء الوطني، وفي غياب أشكال العنف والجرائم وإنهاء الصراعات المسلحة والقطيعة مع النظام السياسي. وإذا كان علماء الاجتماع يرون أن المجتمع القوي هو ذلك الذي يعتز بهويته كواحدة من ثوابته الراسخة، فإن بروز الكثير من المعطيات على خارطة التحول العالمي قد أضعف صلابة هذا المفهوم في وعي الأجيال الحاضرة، لاسيما مع تعدد الولاءات والانتماءات الفرعية التي أفرزت خللاً في الممارسات السلوكية، أفضت إلى موجة من التوترات والمخاطر على المستويات السياسية والاقتصادية والمجتمعية، التي باتت في حالة من الاغتراب عن هويتها الوطنية الجامعة.

إن الهوية الوطنية لا تعني مطلقاً أن يتخلى الفرد عن خصوصياته الاجتماعية والدينية والفكرية، كما أنها لا تعني بالضرورة الاشتراك في جميع الخصائص الثقافية والاجتماعية كي يتولد الإحساس بالانتماء الوطني، بل تعني اشتراك الأفراد من مختلف الثقافات والعقائد والأعراف في وطن واحد ومصير مشترك ضمن الهوية الوطنية الجامعة.

أهداف الدراسة

تهدف الدراسة إلى عرض وتحليل جملة من القضايا المتعلقة بالتعصب القبلي والهوية الوطنية، وبحث تأثير التعصب القبلي على البناء الاجتماعي، وانعكاساته على الهوية الوطنية، ومعرفة الأسباب الداخلية لضعف الهوية، وكشف العوامل التي تعززها، وإبراز أهميتها، والوقوف على أسباب التعصب القبلي .الأهمية النظرية: تنعكس أهمية البحث من خلال إيضاح دور العصبية القبلية في المجتمع وانعكاساتها على الهوية الوطنية .الأهمية التطبيقية: تتمثل في تقديم إضافة فكرية إلى الحقل العلمي والمعرفي تهدف إلى إيضاح تأثيرات العصبية القبلية وانعكاسها على الهوية الوطنية .تساؤل الدراسة: تنطلق هذه الدراسة من تساؤل مفاده: هل ساهم التعصب القبلي في تراجع الهوية الوطنية؟ وما هو انعكاس هذا التعصب على الهوية الوطنية؟

1- **التعصب القبلي:** هو مصطلح يدل على الموالاة والانتماء بشكل تام إلى القبيلة أو العائلة ومناصرتها دائماً، سواء كانت ظالمة أو مظلومة؛ حيث إن العصبية القبلية هي أحد أنواع العصبيات التي تندرج تحت السلوك الإنساني. وفي بعض الأوقات يتم إطلاق مصطلح العصبية على العصبية المذهبية، أو المناطقية، أو الطائفية. وللتعصب القبلي الكثير من التأثيرات السلبية على الفرد والمجتمع، ومع كثرة انتشار أنواعه تزداد المشكلات وتتفاقم التداعيات السلبية.

2- **القبيلة:** معناها الجماعة، إذ يقال لكل جماعة واحدة قبيلة، ويقال لكل جمع من واحد قبيل. ويذكر أيضاً أنَّ الكلبي يرى أنَّ الشعب أكبر من القبيلة، ثم القبيلة، فالعمارة، ثم البطن، ثم الفخذ. ويقال أيضاً قبائل من الطير أي أصناف، وكل صنف يعني قبيلة. والقبيلة هي جماعة من الناس يكونون من ثلاثة فصاعداً من قوم شتى كالزنج والروم والعرب، وقد يكونون من نحو واحد (ابن منظور، د.ت، ص 541).

3- **مفهوم الهوية الوطنية:** هناك تعريفات ومفاهيم متعددة للهوية الوطنية، إلا أن أكثرها شمولاً هو المفهوم الذي يشير إلى الخصائص التي تميز شعباً من الشعوب عن غيره؛ بمعنى آخر هي المشتركات المادية والمعنوية للشعوب، التي يتم تبنيها وقولبتها من قبل النخبة الحاكمة على شكل برامج سياسية (كركوش، 2014، ص 270). فالهوية الوطنية هي الرباط الرئيس الذي يجمع ويوحد الأفراد ويجعل منهم شعوباً وأمماً، وتمثل من المنظور السياسي محوراً مركزياً في عملية بناء السلطة والدولة التي قد تتأسس على هوية مجتمعية موحدة (احمين، 2017، ص 67). إن مفهوم الهوية الوطنية في كل جماعة هو مجموع الخصائص والسمات التي تتميز بها، وتترجم روح الانتماء لدى أبنائها، ولها أهميتها في رفع شأن الأمم وتقدمها وازدهارها، وبدونها تفقد الجماعات كل معاني وجودها واستقرارها.

الفصل الأول

أولاً ـ مفهوم العصبية تعني العصبيّة إجمالاً الحثّ على نصرة الأولياء والأقرباء، ظالمين كانوا أو مظلومين، كما تعني الدّعوة إلى المدافعة، والمحاماة، والمطالبة في سبيل الأقارب والأولياء (بوزياني، 2003، ص 23). وهي في اللّغة مشتقّة من «العَصْب»، وهو الطَّيُّ والشَّدُّ؛ عصبَ الشّيء يعصبه عصبًا: طواه ولواه، وقيل: شدّه. والتّعصب هو المحاماة والمدافعة. وفي الاصطلاح قال الأزهري في "تهذيب

اللغة": «والعصبيّة: أن يدعو الرّجل إلى نصرة عصبته والتألب معهم على من يناوئهم، ظالمين كانوا أو مظلومين.»

وعرفها بعضهم بأنّها رابطة اجتماعية سيكولوجية (نفسية) شعورية ولا شعورية معاً، تربط أفراد جماعة ما قائمة على القرابة ربطاً مستمراً، يبرز ويشتدّ عندما يكون هناك خطر يهدد أولئك الأفراد؛ كأفراد أو كجماعة. وعرفها آخرون بأنّها: «التّلاحم بالعصب، والالتصاق بالدّم، والتّكاثر بالنّسل، ووفرة العدد، والتّفاخر بالغلبة والقوة والتّطاول.»

للعصبيّة أنواع متعددة، وما سبق في تعريفها من أنّها تعصب ذوي القربى والتّحالف، وتضامن أبناء القبيلة، إنّما هو أصل معناها في اللّغة، وهو يعود إلى كلمة عصبة، غير أنّ معناها قد توسّع فيه لاحقاً؛ فأُطلقت على أنواع أخرى من التعصبات بحسب الغرض الّذي نشأت لأجله، والسّبب الّذي اعتمدت عليه. وإنّ من الصّعوبة البالغة حصر أنواعها، لكن يمكن أن نضرب أمثلة لها بعصبيات الجنس، واللون، واللّغة، والمذهب، والوطن، والحزب، والقوم، والجنسيّة، والنّسب (الجريسي، د.ت، ص 22-29).

والتعصب القبلي هو مصطلح يدل في معناه على الموالاة والانتماء بشكل تام إلى القبيلة أو العائلة ومناصرتها دائماً سواء كانت ظالمة أو مظلومة؛ حيث إن العصبية القبلية هي أحد أنواع العصبيات التي تندرج تحت السلوك الإنساني. وفي بعض الأوقات يتم إطلاق مصطلح العصبية على العصبية المذهبية، أو المناطقية، أو الطائفية. وللتعصب القبلي الكثير من التأثيرات السلبية على الفرد والمجتمع، ومع كثرة انتشار أنواعه تزداد المشكلات بتزايد تلك التأثيرات السلبية.

وهناك عصبيات عديدة منها: العصبية الدينية، والطائفية، والإثنية، والعرقية، والتحزبية، وكل هذه العصبيات غير مرتبطة بمكان الإقامة؛ ولا أوضح من المثال اللبناني والسوري الداخلي كشواهد على هذه "البداوة" في الانتماء. فالبدوي (بالمعنى السلوكي) هو المتعصب لانتمائه الضيق، والمغلّب لمصلحة جماعته على مصلحة الوطن؛ فإن كان سنياً (على سبيل المثال) فهو يرى أن مصلحة الوطن تكمن في انتصار جماعته وحكمها للبقية، وحظر كل ما سواها وتفكيكه، وكذلك الحال لدى الانتماءات الطائفية أو الحزبية الضيقة الأخرى، وهذا ينطبق على "بداوة الانتماء" في الحالة اللبنانية أيضاً.

ثانياً: أسباب التعصب القبلي توجد عدة أسباب محتملة لتفسير ظاهرة العصبية القبلية، وهي كالآتي:

1- **التوارث عبر الأجيال :**ينتقل التعصب من جيل إلى جيل، ومن الكبار إلى الصغار؛ إذ يتعلم كثير من الأبناء التّعصب من آبائهم وأساتذتهم. وفي المجتمعات المتعصبة، تجد قيم التعصب تعزيزاً لها في إطار المؤسسات والقوانين والعادات. وقد أدرك علماء الاجتماع احتمال أن يكون بعض النّاس أكثر تعصباً من غيرهم، ويعتمد هذا الاختلاف على التّباينات في خلفية الفرد نفسه وتجاربه (وطفة، 2019، ص 17).

2- **الصور النمطية :**ينطلق التعصب من تصورات مسبقة تأخذ طابع "النمذجة"، حيث يُصنف النّاس إلى فئات اجتماعيّة ودينيّة وعرقيّة تُنسب إليها مجموعة من الصّفات والخصائص العامة. وتعود التصورات النّمطية إلى تركيبة ثقافية يكتسبها الطفل من محيطه الاجتماعي خلال تنشئته المبكرة؛ إذ تُنسب صفات محددة إلى مختلف الفئات مثل: الخيانة، والغدر، والإلحاد، والمذلة، وغيرها من السمات السلبية. ويشكّل اكتساب هذه التّصورات منطلقاً أساسياً لحدوث التّعصب؛ فبمجرد مصادفة أيّ فرد من الفئة المستهدفة تتبادر الأفكار السلبية إلى الذهن تلقائياً.

3- **العوامل الثّقافية :**تلعب العوامل الثّقافية دوراً مهماً في تغذية التّعصب؛ فبعض الأيديولوجيات الصّريحة أو الضّمنيّة تعمل على بناء التّعصب ضدّ بعض الجماعات الإنسانيّة. وكثير من الأيديولوجيات العنصرية تستند إلى ادّعاءات يزعم صاحبها أنها "علمية"، مثل القول بأن أحد الأجناس أفضل بيولوجياً من الأجناس الأخرى، أو تستند إلى تأويلات لبعض النصوص أو التاريخ للتشكيك في الدور السياسي والوطني لجماعة معينة.

4- **الخطابات والأعمال الأدبية :**تسهم بعض الخطابات في كثير من الأحيان عبر تلميحات أو تصريحات في التّحريض على الإحساس بالتّمايز وتعزيز الحسّ الطّائفي أو القبلي. كما أن بعض الكتب والروايات التي تأخذ لبوساً أدبياً قد تبثّ سموماً قائمة على تعزيز مفاهيم وقيم الانقسام بين مكونات المجتمع (وطفة، 2019، ص 11).

الفصل الثاني

1- مفهوم الهوية يتصف مفهوم الهوية، كغيره من مفاهيم العلوم الاجتماعية والإنسانية، بالعمومية والسيولة؛ إذ يحتمل الكثير من المعاني والتفسيرات حتى غدا من أكثر المفاهيم تداولاً وأشدها غموضاً وتشعباً. ويُعد من المفاهيم المثيرة للجدل في مجالات البحث العلمي والسياسي نظراً لاقتحامه حقول الفلسفة، والمنطق، والعلوم السياسية، وما يرتبط به من محددات كـ "الذات"، واللغة، والثقافة، والأصالة.

وتُعرف الهوية بأنها ما يكون به الشيء هو، أي من حيث تشخيصه وتميزه عن غيره؛ فهي وعاء الضمير الجمعي لأي تكتل بشري، بما تشمله من قيم وعادات ومقومات تكيف وعي الجماعة وإرادتها في الحياة والحفاظ على كيانها. وهناك من عرفها بأنها "الشفرة" التي يعرف الفرد عن طريقها نفسه، وبواسطتها يتعرف عليه الآخرون كعضو ينتمي لجماعة تربطه بها علاقة قوية (وطفة، 2019، ص 20).

ويمثل تأزم الهوية الوطنية في المجتمعات المعاصرة إحدى أدوات الصراع السياسي والثقافي؛ ويعد موضوع "الهوية الليبية" من الموضوعات التي يثار حولها جدل واسع في الفكر والممارسة، خاصة مع تداخل المحددات والحقوق. ويمكن القول إن ليبيا تعيش اليوم أزمة هوية وطنية واضحة؛ فهي أزمة مركبة يعبر فيها الأفراد عن أنفسهم في الفضاء العام بهويات مناطقية وقبلية وأيديولوجية ضيقة.

إن الهوية هي الوعي بالذات الحضارية والاعتزاز بها، وهي حقيقة الشيء وصفاته التي يتميز بها وتظهر بها شخصيته (الشاعر، 2004، ص 16). وتقوم هوية كل أمة على ما يميزها عن غيرها كالدين، واللغة، والتراث؛ فهي أساس صناعة الحضارة (كركوش، 2014، ص 10). كما أنها عملية تطوير مستمرة لمستوى التفكير، والسلوك البشري، والإبداع المؤسسي (الشاعر، 2004، ص 20).

ويرى الباحث أن الهوية هي تعايش واتفاق مجموعة من البشر على منظومة من المعتقدات والأفكار والتقاليد التي تنظم نمط حياتهم وتميزهم عن غيرهم، حيث يعتزون برمزياتهم الثقافية والجهادية والتاريخية (إبراهيم، 2014، ص 15). ويرتكز مفهوم الهوية على التراضي، والتعايش، والوعي بالذات، والتكامل الزمني بين الماضي والحاضر والمستقبل.

أما الهوية الوطنية فهي مجموعة القواسم المعنوية والحسية المشتركة بين مواطني دولة معينة، تنتقل إليهم عبر مؤسسات الدولة والنظام السياسي، وتشكل النسيج الذي يربط الهوية الفردية بالهوية الجماعية، متجاوزة الولاءات الفرعية. ويخلص الباحث إلى تعريف إجرائي للهوية الوطنية الليبية بأنها: "الخصوصية والذاتية الثقافية واللغوية والعقدية والتاريخية للفرد داخل الوطن الليبي بكل مكوناته الاجتماعية، وهي لا تقتصر على قبيلة أو منطقة، بل هي تعبير شامل عن الذات الوطنية الجامعة."

2- أهمية الهوية الوطنية :تتجلى أهمية الهوية الوطنية في النقاط الآتية (الكف، 2021، ص 40):

1. تحقيق التناسق والتوافق بين مختلف قطاعات الدولة.
2. خدمة الفكر الوطني وبناء رؤية مشتركة للمستقبل.
3. تحصين المجتمع ضد الغزو الثقافي الخارجي الهدام.
4. تعزيز الوحدة الوطنية ومواجهة مشاريع التقسيم.
5. ترسيخ قيم التعايش السلمي بين كافة المكونات تحت راية الوطن.
6. منح الفرد شعوراً بالشخصية المتميزة والانتماء لأمة ذات سيادة.
7. تعزيز السلم الأهلي والمساعدة في استقرار الدولة وتطورها.

3- الأسباب الداخلية لضعف الهوية الوطنية :يرى البدوي (2013، ص 307) أن هناك عدة عوامل تؤدي إلى تآكل الهوية، منها:

- حالة عدم الاستقرار السياسي وضعف أداء مؤسسات الدولة.
- تدهور الحالة الاقتصادية وغياب العدالة في توزيع الثروات.
- غياب المساواة والتمييز بين المواطنين على أساس قبلي أو حزبي.
- ضعف النهج الديمقراطي والتضييق على الحريات العامة.
- الانفلات الأمني وغياب حكومة قوية تحمي المواطن.
- غياب الدستور أو الإخلال بتطبيق مواده القانونية.
- ضعف الوعي الثقافي مما يجعل المجتمع عرضة للفتن والتدخلات الخارجية.

إن الهوية الوطنية هي الوعاء الذي يستوعب جميع الهويات الفرعية من خلال مؤسسة الدولة والدستور الذي يقر الحقوق والواجبات. وقوة الهوية الوطنية تؤدي بالضرورة إلى انحسار الهويات الفرعية، بينما يؤدي ضعفها إلى تنامي الولاءات الضيقة التي تقود للتنافس والصراع.

4- العوامل الداخلية التي تعزز الهوية الوطنية :لتقوية الانتماء الوطني، يجب العمل على (البدوي، 2013، ص 309):

1. تفعيل المؤسسات السياسية وضمان قوتها واستقلاليتها.
2. تحقيق العدالة الاجتماعية وعدم التمييز بين فئات الشعب.
3. صيانة حقوق الأفراد وحرياتهم الأساسية.
4. العمل على تحقيق الرفاه الاقتصادي والتنمية الشاملة.
5. مساواة الجميع أمام القانون في الواجبات والالتزامات.
6. زيادة الوعي المجتمعي وتحصين الشباب فكرياً.
7. تبني النهج الديمقراطي وإشراك الجميع في إدارة الدولة.
8. تغليب المصلحة العامة على المصالح الفئوية الخاصة.
9. تنمية المشتركات الثقافية والاجتماعية بين فئات المجتمع.
10. تعزيز الشعور بـ "قدسية الوطن" عبر مناهج التربية والإعلام.

ختاماً، يجب الحفاظ على الهوية الوطنية ليس فقط من تغول الهويات الفرعية، بل أيضاً من مخاطر "العولمة" التي تسعى لتفتيت الهويات الوطنية ودمجها في قوالب عالمية عابرة للحدود.

الفصل الثالث

أولاً: التعصب القبلي وأثره على البناء الاجتماعي

تتكون البنية الاجتماعية للمجتمع الليبي من عدد من القبائل، وطبيعة القيادة فيها عمودية تتمثل بشكل هرمي متمثلة بزعيم القبيلة، وعلى رأس كل قبيلة شيخ. فهذه الوحدات الاجتماعية وجودها في المجتمعات العربية والمجتمع الليبي متجذر وله عمق تاريخي، ولها دور كبير في فض الكثير من المنازعات والتناحرات العشائرية، ومارست دورها كوسائل ضبط غير رسمية. إلا أن التغيرات طرأت على شكلها وبنيتها، مما أدى إلى تجذير النزعة العصبية القائمة على ثقافة الغلبة والاستحواذ، وتعاظم دورها في المشهد السياسي في قضية تخادم القبيلة والدولة لتحقيق مصالح فئوية خاصة قد تكون للسياسي أو لبعض المشايخ؛ مما جعل بعض السياسيين يغازل العشيرة بعرض خدماته وتقريب بعضهم في مقابل الحصول على أصواتهم في العملية الانتخابية. فتضافر هذه العوامل ساعد في دعم قوة العشائرية كقوة متمايزة تُستخدم ضد الآخر المختلف قبلياً وعشائرياً، مما أسهم في حالة من تحول القبيلة كقوة داعمة لحفظ علاقات الجيرة والاستقرار، إلى قوة مهددة للاستقرار الأمني والتناحر والنزاع العشائري، وكعامل وخطر يهدد السلم المجتمعي، وذلك لظهور سلوكيات عشائرية مثقلة بالعصبية القبلية تهدد مقومات السلم الاجتماعي.

تعد القبيلة من أقدم التشكيلات والأطر الاجتماعية في مجتمعنا، إنها ضاربة في القدم خصوصاً في مجتمعاتنا العربية، وإن سيرورة وجودها ونموها شهد حالة من المد والجزر في قوتها وضعفها؛ إذ إنها تقوى بضعف الدولة، وتضعف بقوة الدولة. إنها تشهد حالة من القوة والحضور الاجتماعي الفاعل، وتغلغلها في جميع مناحي الحياة في فترات ضعف الدولة. وكثير من الأنظمة السياسية التي توالت على حكم ليبيا قد تلجأ إلى استقطاب القبلية، والقبلية بشكلها التعصبي عندما يتهدد ملكها وسلطتها السياسية؛ وهذا ما لاحظناه في التسعينات من القرن الماضي في زمن النظام السابق، إذ أخذ بدعم دور القبيلة واستقطابها كقوة ماسكة للأرض تعزز وتدعم قوة الدولة، في حين أنه في السابق لم يوليها هذا الاهتمام. ولا زالت اليوم تمثل معطى مهماً للحياة السياسية، يتدافع نحوها العديد من السياسيين كبوابة للدخول إلى العملية السياسية. فالقبيلة أصبحت لاعباً أساسياً في المشهد السياسي الليبي، خصوصاً دورها في ملء الفراغ الذي خلفه سقوط النظام السابق وانهيار مؤسسات الدولة، وتنامي قوى الإرهاب في البلد؛ مما دفع ذلك إلى بناء مؤسسات أمنية بعضها ذات صبغة قبلية (كتشكيل الصحوات ومجالس الإنقاذ وغيرها) في المناطق الرخوة المهددة بعمليات إرهابية، وهذا قد يؤسس لثقافة الاستقواء والاستحواذ عندما تسخر قوتها لحماية أبناء قبيلتها فقط، مما قد يحولها إلى عامل خطر يهدد السلم الاجتماعي.

وعلى الرغم من أهمية القبيلة في تعزيز قيم التضامن والولاء الداخلي بين أفرادها، إلا أن هذا قد يشكل خطراً ومهدداً للسلم الاجتماعي عندما يتقوقع هذا التعصب ويكون موجهاً تجاه الآخر المختلف قبلياً، وهذا ما يجعلها تشكل سلاحاً ذا حدين؛ فهي إلى جانب أنها إطار اجتماعي أساسي في البنية الاجتماعية للمجتمع، هدفها تعزيز التضامن الداخلي بين أفرادها، إلا أنها قد تتعامل بعصبية قبلية نحو الآخر، وهذا ما نلاحظه ونسمعه عن حالات النزاع العشائري المتكررة (والتي تشكل في الحالة الليبية الراهنة) خطراً يهدد البنية الاجتماعية للمجتمع ويفتك بالسلم والأمن الاجتماعي. لذا فمشكلة البحث تتمحور حول ظهور العصبية القبلية كقوة في الحقل السياسي ودورها في تراجع الهوية الوطنية كظاهرة تهدد السلم المجتمعي.

يعد التضامن عملية اجتماعية تعبر عن دعم ومساندة لأفراد أو جماعات لتقديم العون والمساعدة المادية أو المعنوية لفرد أو لجماعة أخرى، وبصورة طواعية من دون إلزام، ويحدث ما بين الأفراد أو الجماعات مع بعضهم البعض؛ أي بصورة أفقية، أو بصورة عمودية ما بين الأفراد والنخب. ويعرف التضامن الجماعي بأنه ترابط عفوي ومعقول بين أفراد جماعة معينة في حدود ما يجعل منهم جماعة واحدة، لهم فيها مصالح مشتركة ومصير واحد. فالتضامن مفهوم مركب من مفاهيم الضم والضمن والضمان، ويجمع على هذا الأساس جوانب عاطفية وإرادية وعقلية، تنقل انتماء الفرد إلى الجماعة من مستوى القدر المفروض إلى مستوى الواقع المقبول بوعي وشروط (إسحاق، 1993، ص 213).

الجدير بالذكر أن ابن خلدون قسم العصبية التي تشتد وتقوى بقوة تضامن أفرادها إلى عصبية خاصة، ويكون التضامن فيها أكثر تماسكاً وقوة ومتانة؛ أما الصنف الثاني فتمثله العصبية العامة، أو كما يسميها البعض "المركبة"، فيكون التضامن فيها أقل تماسكاً وأبعد لحمة من سابقتها مما يضعف تماسكها. فالتضامن ينشأ عن بنية الحياة المشتركة نفسها، إذ يحتاج كل فرد إلى غيره في شبكة تبادلات متقاطعة. وفي هذا الصدد يرى دوركهايم في "تقسيم العمل" منبع هذا النوع الأول من التضامن، إذ يكون قليل النمو في الأحوال الاقتصادية المغلقة البدائية، ثم هو ينمو مع نمو تخصص المبادلات (دوفرجيه، 2009، ص 201). ففي حالة التضامن الميكانيكي، وما يعنيه هذا الاسم، هو مجموعة منظمة نوعاً ما من خلال العقائد والعواطف المشتركة بين كل أعضاء الجماعة: إنه النوع الجمعي أو المشاعي. ومن جهة أخرى، المجتمع الذي نتضامن معه في الحالة الثانية هو نظام من الوظائف المنوعة والخصوصية التي تجتمع في علاقات معينة (غدنز، 1971، ص 192).

النوع الثاني من التلاحم الاجتماعي هو "تضامن عضوي"، وفيه ينبثق التضامن ليس فقط من القبول بمجموعة مشتركة من العقائد والعواطف، بل من اعتماد تبادل وظيفي في تقسيم العمل؛ حيثما يكون التضامن الميكانيكي القاعدة الرئيسة للتلاحم الاجتماعي يغلف الوعي الجماعي أو المشاعي بصورة تامة الوعي الفردي، وعندئذ يفترض هوية واحدة، بل فروقاً بين الأفراد في اعتقاداتهم وفي أفعالهم. لذلك يكون نمو التضامن العضوي والتوسع في تقسيم العمل مصحوبين بازدياد الفردية (غدنز، 1971، ص 192). وبهذا يكون المجتمع مهيكلاً، ويشتغل كشبكة أو كمجموعة شبكية مترابطة تضمن حركية متزايدة للأشخاص والمواد والمعلومات، هذا التنظيم الشبكي يؤسس تضامناً جديداً للأفعال، الذي يعني نسقاً من التبعية المتبادلة بين الأفراد. فبدلاً من التضامن الآلي للمجتمع المحلي القروي إلى التضامن العضوي للمدينة الصناعية، ظهر إذن تضامن ثالث، هو التضامن التبادلي الذي يجعل الأفراد والتنظيمات في روابط منتمية إلى شبكة متعددة مترابطة، ورهان الديمقراطية عندئذ هو تحويل هذا التضامن التبادلي إلى تضامن انعكاسي؛ أي إلى وعي بالانتماء إلى نسق من المصالح الاجتماعية (بومخلوف، 2015، ص 43، 44).

تأسيساً على ما سبق، فإن لهذه الروابط الثلاث نخبها ورجالها الذين يلعبون الدور الكبير في تجسيد مفردات هذه المجالات بين أفراد المجتمع؛ فالزعامات الاجتماعية والنخب لها دور كبير في تحقيق التضامن المجتمعي، وهذا الدور إما أن يكون إيجابياً أو سلبياً بناءً على ما تتمتع به الزعامات من سمات وميزات تعزز التضامن أو تهدد وجوده، ولاسيما الزعامات المؤثرة في المجتمع من خلال ما تتمتع به من قدرة على تعزيز التساند والتضامن بين أفراد المجتمع، عن طريق ترجمة سلوكها على أرض الواقع بما يتميز بالمصداقية، والعمل من أجل المصلحة العامة وتقديمها على المصلحة الشخصية، فضلاً عن الخطاب المعتدل الذي يعزز وحدة المجتمع. وهذا التضامن بدوره يحقق بنية مجتمعية عابرة للطائفية والمناطقية والعشائرية. أما في حالة إخفاق هذه الزعامات أو القيادات العشائرية في تحقيق هذا الخطاب المعتدل، فستكون آثاره سلبية على التضامن، مما قد يؤثر سلباً على استمرار التضامن المجتمعي ويسهم في تذرير

وتشظي الهوية، ويخلق تضامنيات وتحالفات قبلية أو فئوية أو طائفية أو مصلحية أو مناطقية تضر بالصالح العام. يضاف إلى ذلك أن التنظيم المتشظي سيفرز التسميات إلى أحياء وأنساب وتضامنيات تبعية عمودية تعمل ضد التكامل القومي، وتبقي على انفصال الحيزات الاجتماعية وبرانيتها عن المشهد السياسي، وتُدخل النخب والأحزاب الحاكمة في علاقات محسوبية مع عناصر هذا المجتمع المتشظي، تكرس التشظي وفشل تكوين الأمة؛ لأن النخب أنفسهم يسقطون في ممارسة السلطة التقليدية (زبيدة، 1995، ص 221).

ثانياً: التعصب القبلي وانعكاسه على الهوية الوطنية

أصبحت القبلية في ليبيا بارزة وخاصة بعد 2011م، وأصبح التحليل السياسي في الدولة خلال الحرب الأهلية مبنياً على المناطقية والقبلية. وهي تحمل عند التخاطب رؤية استفزازية للطرف المقابل، ومع هذا فإنها تكاد تكون السمة الغالبة على الواقع الليبي والتي لها انعكاساتها على الأصعدة السياسية والاجتماعية والثقافية، وامتدت آثارها لتكون رافداً مهماً من روافد صنع الموقف السياسي ليس فقط في داخل ليبيا وإنما أيضاً لدى بعض دول الجوار إزاء ليبيا، وبالتالي تؤثر تأثيراً فعالاً في تشكيل وصياغة الهوية الليبية.

وتعرف القبلية بأنها تعصب الفرد لقبيلته والتطلع إلى تحقيق مواقع سياسية واجتماعية أفضل في الدولة عبر تحالفات تتبنى طابعاً سياسياً أو حزبياً يتخذ من الانتماء القبلي معياراً للمفاضلة والأهلية لتولي المسؤوليات والقيادات بصرف النظر عن الكفاءة. وهناك القبلية السياسية وهي أن تتبنى السلطة وتتمحور على أساس قبلي (قبيلة القذاذفة مثلاً) بما يخدم الجماعة التي تنتسب إليها مجموعة الحاكمين والمرتبطين بالسلطة، واعتماد التميز الطائفي بحسب امتيازات وحقوق القبائل الأخرى (الكف، 2021، ص 48). وكان التعصب القبلي والمناطقي يتجلى حين تقوم قبيلة أو مدينة بالهجوم على مدينة أخرى بشرعية من الدولة (السياسة القبلية) مثل حرب "القرار 7"، والقبض على الهوية وتعذيب المواطنين وتهجيرهم ظلماً وعدواناً.

وإذ تعد القبلية والمناطقية إحدى العوامل الأساسية التي تعرقل بناء هوية وطنية ليبية، فإنها تغلق الطريق أمام بناء الدولة الليبية. في فترة استقلال ليبيا سنة 1951م (تصحيح التاريخ) قسمت البلاد إلى ثلاثة أقاليم (طرابلس – برقة – وفزان) فيما يعرف بالحكم الفيدرالي؛ نتج عن هذا التقسيم الفكر الجهوي الذي ما زال ينادي به بعض هذه الأقاليم مثل إقليم برقة والذي نشط خلال ثورة 17 فبراير 2011م. هذا الفكر وجد أرضاً خصبة للظهور والنمو نتيجة سياسة التهميش التي قامت بها الحكومة المركزية في طرابلس، ونادى البعض بأن تكون ليبيا دولة فيدرالية، وذهب البعض إلى أبعد من ذلك فنادى بالاستقلال؛ فالجنوب الليبي الذي به العديد من الثروات واعتبره "سلة غذاء ليبيا" نادى بالاستقلال ووجد آذاناً صاغية من بعض الدول الغربية لتنفيذ مصالحها الاقتصادية، والكل ناتج عن سياسة المركزية والتهميش.

أما القبلية فهي مترسخة في البلاد بشكل كبير وتؤثر في اتخاذ القرار السياسي والاقتصادي بشكل واضح؛ فالمشاريع الصناعية والاقتصادية توزع بشكل قبلي وليس بدراسة علمية مبنية على أسس اقتصادية. وسياسياً هناك قبائل مهمشة وقبائل تحكم، وهذا الحال أثر بشكل كبير في الهوية الليبية (الكف، 2021، ص 48). وهذا ما أكده محمود شمام عندما قسم الدولة الليبية إلى قسمين: القسم الأول "المدن المنتصرة" والقسم الثاني "المدن المهزومة"؛ ومن حق المدن المنتصرة أن تكتب الدستور وتقود البلاد وتجمع السلاح، أما المدن المهزومة فيجب حرمانها من كل حقوقها، وهذا ما يقود البلاد إلى مزيد من الانقسام والتشظي وتمزيق ما تبقى من الهوية الوطنية ومزيد من الجهوية والتعصب القبلي.

الخاتمة

في ختام هذا البحث، نخلص إلى أن ظاهرة التعصب القبلي في ليبيا لم تعد مجرد ممارسة اجتماعية تقليدية، بل تحولت إلى عائق بنيوي يحول دون استكمال مشروع الدولة الوطنية. لقد كشفت الدراسة أن الارتكان إلى الولاءات الضيقة على حساب الانتماء الجامع قد أدى إلى تآكل النسيج الاجتماعي، وزعزعة ركائز الاستقرار. إن التعصب القبلي، بما يحمله من قيم "الغلبة" و"الاستحواذ"، يمثل استنزافاً للطاقات الوطنية في صراعات صفرية لا تورث إلا التناحر والفرقة وسفك الدماء، وتفتح الأبواب أمام الفتن التي يستجيب لها ضعاف البصائر، مما يؤدي في نهاية المطاف إلى تقويض سلطة القانون وسيادة المؤسسات.

إن التحدي الراهن الذي يواجه الأمة الليبية لا يكمن فقط في إعادة بناء المؤسسات المادية، بل في بناء "العقلية الوطنية" وإخراجها من شرنقة التعصب القبلي والجهوي إلى فضاء المواطنة. إن الدولة المنشودة هي تلك التي تصهر جميع المكونات في بوتقة واحدة، حيث يكون الولاء للوطن هو المظلة التي يستظل بها الجميع، وحيث تُستثمر الجهود في البناء والتنمية بدلاً من تشتتها في قضايا هامشية تعيق التقدم وتكرس التجزئة.

نتائج الدراسة بناءً على التحليل السوسيولوجي والسياسي لمجريات الأحداث في المجتمع الليبي، توصلت الدراسة إلى النتائج الآتية:

1. **التوظيف السياسي للقبيلة :**أثبتت الدراسة أن استغلال القوى السياسية للقبيلة كخزان انتخابي أو كأداة للشرعية قد منحها حضوراً طاغياً في المشهد العام، مما جعلها "فاعلاً سياسياً" ينافس الدولة بدلاً من أن تكون رافداً اجتماعياً لها.
2. **تراجع الهوية الوطنية :**أدى تعاظم الولاء القبلي إلى انحسار الهوية الجامعة؛ حيث أصبح الفرد يعرف نفسه بانتمائه الجهوي أو القبلي أولاً، مما خلق أزمة ثقة بين مكونات المجتمع الواحد.
3. **إضعاف بنية الدولة :**أسهم التعصب في عرقلة بناء مؤسسات وطنية مهنية؛ إذ أصبحت المحاصصة القبلية والجهوية معياراً في التكليفات والوظائف القيادية، مما أضعف كفاءة الدولة وقدرتها على فرض هيبتها.
4. **تراجع سلطة القانون :**أدى الارتكان المفرط للعرف القبلي في فض النزاعات -رغم أهميته أحياناً كحل مؤقت- إلى تغييب دور القضاء الرسمي وتراجع قوة القانون، مما انعكس سلباً على مقومات السلم الاجتماعي والأمن القانوني للمواطن.
5. **ارتباط الهوية بالعيش الكريم :**كشفت النتائج أن عدم احترام آدمية المواطن الليبي وفشل الدولة في توفير الاحتياجات الأساسية والعدالة الاجتماعية، دفع الأفراد للتمترس خلف قبائلهم كبديل "حمائي" وخدمي يوفر لهم ما عجزت عنه الدولة.
6. **الدور السلبي للإعلام :**ساهم الإعلام الموجه والمشحون بخطاب طائفي وقبلي في تفتيت الهوية الليبية وتعميق الفجوة بين المناطق، محولاً التنوع الثقافي إلى وقود للنزاع.
7. **غياب البعد الوطني في التعليم :**أدى عدم إدماج قيم الهوية الوطنية والعيش المشترك بشكل فعال في المناهج التعليمية إلى نشوء أجيال تفتقد للحصانة الفكرية ضد النعرات القبلية، مما سهل انزلاق البلاد نحو الحروب الأهلية.
8. **استرجاع الهوية ممكن :**رغم القتامة الراهنة، تشير الدراسة إلى أن غياب الهوية الجامعة ليس فقداناً أبدياً، بل هو "حالة انكفاء" يمكن تجاوزها عبر عمل وطني جاد ومنظم يستهدف النهوض بالوطن الممزق.

التوصيات انطلاقاً من هذه النتائج، يضع الباحث جملة من التوصيات التي قد تسهم في تعزيز الهوية الوطنية الليبية:

1. **دسترة الهوية الوطنية :**ضرورة الإسراع في صياغة دستور دائم يضمن المساواة التامة بين الليبيين، ويجرم التمييز على أساس قبلي أو جهوي، ويؤسس لدولة المؤسسات لا دولة المكونات.
2. **تحييد القبيلة سياسياً :**وضع قوانين تمنع توظيف الروابط القبلية في العمل السياسي والحزبي، مع الحفاظ على دور القبيلة كإطار اجتماعي للصلح والترابط الثقافي فقط.
3. **إصلاح المنظومة التعليمية :**راديكالية تغيير المناهج التعليمية لتتضمن مواد تعزز السلم الأهلي، وتبرز التاريخ الوطني المشترك، وتغرس قيم المواطنة والمسؤولية تجاه الدولة في نفوس الناشئة.
4. **تفعيل العدالة الاجتماعية :**لابد من توزيع عادل للثروات وتنمية مكانية تشمل كافة أرجاء ليبيا (شرقاً وغرباً وجنوباً)، لرفع الشعور بالتهميش الذي يعد الوقود الأول للتعصب القبلي.
5. **ميثاق شرف إعلامي :**إلزام كافة الوسائل الإعلامية بميثاق يمنع خطاب الكراهية والتحريض القبلي، وتشجيع البرامج التي تبرز التنوع الليبي كعنصر ثراء وقوة.
6. **تقوية القضاء الرسمي :**العمل على تمكين الأجهزة الأمنية والقضائية من أداء مهامها، بحيث يصبح القانون هو المرجع الوحيد والملزم للجميع، وتقليل الاعتماد على الحلول العرفية في الجرائم الكبرى التي تمس أمن الدولة.
7. **مشروع مصالحة وطنية شاملة :**إطلاق مبادرة وطنية حقيقية للمصالحة تقوم على كشف الحقائق، والاعتذار المتبادل، وجبر الضرر، بعيداً عن الصفقات السياسية الهشة.

بهذا نكون قد وضعنا لبنة في طريق الفهم العلمي لظاهرة التعصب، آملين أن تجد هذه المقترحات طريقاً للتنفيذ لضمان بقاء ليبيا وطناً واحداً موحداً لكل الليبيين.

المصادر والمراجع

أولاً: الكتب

1. إسحاق، أديب .(1993) .أضواء على التعصب .بيروت: دار أمواج للطباعة والنشر.
2. بوزياني، الدراجي .(2003) .العصبية القبلية ظاهرة اجتماعية وتاريخية على ضوء الفكر الخلدوني (سلسلة العصبية القبلية). الجزائر: دار الكتاب العربي.
3. دوفرجيه، موريس .(2009) .مدخل إلى علم السياسة .(ترجمة: جمال الأتاسي). بيروت: المركز الثقافي العربي.
4. زبيدة، سامي .(1995) .الدولة والمجتمع .(ترجمة: عبد الإله النعيمي). سوريا: دار المدى للثقافة والنشر.
5. غدنز، أنتوني .(1971) .الرأسمالية والنظرية الاجتماعية الحديثة .(ترجمة: أديب يوسف شيش). دمشق: الهيئة العامة السورية للكتاب.
6. احمين، عبد الحكيم .(2017) .الهويات الافتراضية في المجتمعات العربية .المغرب: دار الأمان، ومركز حرمون للدراسات المعاصرة.

ثانياً: المقالات والبحوث المنشورة

1. البدوي، مجيد حازم. (2013). الهوية الوطنية مقابل الهوية الفرعية .مجلة كلية التربية الأساسية، ع (14)، جامعة بابل، العراق.
2. برطشة، عمر المختار. (2020). أزمة الهوية الوطنية في ليبيا وانعكاساتها على الاستقرار السياسي .مجلة كلية الآداب، ع (29)، ج (2)، يونيو، جامعة الزاوية، ليبيا.
3. بومخلوف، محمد وآخرون. (2015). التأطير الاجتماعي للشباب والثقة: دراسة ميدانية للتأطير الرسمي وغير الرسمي للشباب في الوسط الحضري .كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الجزائر، الجزائر.
4. حسين، صابرين. (2021). العصبية القبلية وأثرها على المجتمع: دراسة سوسيولوجية على مجتمع محلي .مجلة العلوم الإنسانية والطبيعية، المجلد (2)، ع (3)، جامعة القصيم، السعودية.
5. الكركوش، فتحية. (2014). إشكالية بناء الهوية النفسية الاجتماعية والإنسانية .مجلة العلوم الاجتماعية، ع (16)، سبتمبر، جامعة البليدة 2، الجزائر.
6. الكف، أحمد محمد. (2021). الهوية الليبية دراسة تحليلية من منظور الجغرافيا السياسية والاجتماعية .مجلة كلية الآداب والعلوم قصر خيار، ع (12)، جامعة المرقب، ليبيا.
7. مهدي، عبير؛ وحميد، عمار. (2003). إشكالية الهوية في العراق: رؤية في التحديات ومستقبل بناء هوية وطنية عراقية .المجلة السياسية الدولية، العراق.
8. النعيمي، السائح. (د.ت). إشكالية التأصيل المنهجي والمعرفي لمفهوم الهوية الليبية .مجلة الجامعي، ع (32)، الخريف، ليبيا.
9. هاشم، حسين. (2022). العصبية القبلية والسلم الاجتماعي .مجلة حمورابي، ع (42)، وزارة العمل، العراق.
10. هيكل، إيمان محمود. (2022). العصبية القبلية وعلاقتها بالمشاركة الانتخابية: دراسة أنثروبولوجية لقبائل الغرق قبلي بمحافظة الفيوم .مجلة كلية الآداب، ج (2)، ع (21)، جامعة بورسعيد، مصر.
11. وطفة، علي أسعد. (2019). مظاهر التعصب وتحدياته في العالم العربي: أين معادلة التسامح في التربية العربية؟. (د.ن)، (د.ب).

Disclaimer/Publisher's Note: The statements, opinions, and data contained in all publications are solely those of the individual author(s) and contributor(s) and not of **JSHD** and/or the editor(s). **JSHD** and/or the editor(s) disclaim responsibility for any injury to people or property resulting from any ideas, methods, instructions, or products referred to in the content.